

وأومن إيماناً لا يتزعزع أن أمته هذه لا ينقصها إلا الوحدة
في القلوب أولاً كما توحدت على يديه حتى تعود فتنهض بجمعها
السعلاق الهائل فتستلم الشمس من الشرق لتسلها إلى المغرب



صورة رمزية للعربي
بريشة الأستاذ سعيد تحسين

وأستوحى المهد الأول الذي درجت فيه هذه الأمة المعجوز
وانبثق منه ينبوعها الأزلى... ذلك المهد الناطق بالصمت، العامر
بالنجوم، الحصين بالنجرد والفرد، المبني بالجبال، المفروش بالرمال،
سراد الأرواح، ومجتل الإلهية، ومبعث النبوات، ومركز
المعور، وملقى الشرق بالمغرب...
كما أستوحى بلادها الثانية التي فاضت عليها أمواجها،
وتلاخت أرتالها، ونشرت عليها سلطانها الروحي واللغوي،
وسطرت على أديمها تاريخها بمرورها وفتوح سيوفها وأقلامها
وحيثما أستوحى كل أولئك أجد السماء تنطق والأرض تنطق
وكل شيء يوحى ويلهم ويدفع القلم دفقا إلى التسطير والتحرير
ليمت هذه الأمة والتفاني في خدمتها والتفادي في إحياء مثلها
الأعلى الذي رسمه الله في قلب أبيها محمد، وملء أسماعها بأناشيد
مجدها وترانيم وحدتها حتى تعود فتملأ الدنيا وتشغل الناس وتنثر

مزامير للنفس العربية !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

تمهيد :

أستوحى روح مولى نفوسنا وسيد عقولنا وآخذنا إلى رب
الحياة ومقدمنا إليه بسنته وحنيفيته السمحاء (محمد)، ليملاً قلبى
وبفيض على قلبي ويهديه ويسدده في وقائه له ولقوميته التي حملت
أجل الأمثال العليا في الفكرة والفطرة والخلق والمعاملة
أستوحى هذا الروح الأكبر، ويتعرف قلبي الصغير إلى قلبه
الكبير، كما يتعرف الجدول الضحوضاح إلى النهر البراح؛
وأستمينه في خدمة النفس العربية بالمساهمة في حملها على إدراك
فضائلها وحاجة الإنسانية إليها.

وإنما أتوجه إليه إذ هو باعث روح أمته للمجبية ومخلدها
على مر الأيام وكر الأعوام، وموحد شملها، وفارض أمجادها على
القلوب والعقول

أمر بإنشاء هذا المنبر السيد الأجل الأفضل أمير الحرمين
سيف الإسلام ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة
المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه
أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته. وذلك في شهر ربيع الأول
سنة خمس ميه. أثق بالله

والخليفة الأمر الفاطمي تولى الخلافة من سنة ٤٩٥
إلى سنة ٥٣٤
وأما الكتابة التي على الكرمي فهي أعظم خطراً ودلالة على
عناية الفاطميين ببناء المساجد في هذه البقعة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بعمل هذا الشمع والكرامى
والجامع المبارك الذي بالدير الأعلا والثلاث مساجد التي فوق فاران
والمسجد الذي تحت فاران الجديدة والنارة التي بمحضر الساحل،
الأمير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها أبو منصور أنوشتكين
الأمري »

والأمري نسبة إلى الأمر بأحكام الله . فالكرامى والمنبر
صنعا في زمان الخليفة الأمر

عبد الراهب عزام

(تسكلام ص٤)

أشخاصها وكلماتها الصامتة والناطقة في مجاهل الأرض ، كما تنتثر
للتنجوم في مجاهل السماء

غير أني أبادر فأبرأ إلى الله من العصيبة القومية الجاهلية
وضيعة وسفاهتها على غيرها ، وإنما أرجو أن تقوم العربية كما
قامت أول أمرها على يد أبيها محمد أداة تنظيف للبشرية وتوكيد
لوحدها ... ولذلك أبادر فأنبه إخواننا وأصدقائنا من الجنسيات
الإسلامية الأخرى إلى هذا حتى يستيقنوا أننا لا نريد مفاخرة
ولا متافرة جنسية دموية قاعمة على زعم فروق جوهرية بين
الأجناس والألوان ؛ وإنما هي دعوة للعرب — وهم مادة الإسلام
الأولى وقوم القرآن — إلى الاعتدال والاستمسك بالمثل العليا
التي اختار الله للقومية العربية لجلها إلى الناس ، وبالصفات
الطبيعية العربية العليا التي كانت سنداً لهذه المثل

وقد دعاني إلى اختيار هذا الزمان للبويع بهذه الأناشيد التي
طالما ترغت بها نفسى معانى مطلقة حرة غير مصبوبة بألفاظ ،
أننى وجدت الأقدار تنزل فيه وتتلاحق بسرعة وتتولى تغيير
مقدرات الأرض وأوضاعها النفسية والجغرافية ، ووجدت صراع
القوميات والآراء والمنفردات والفلسفات في رهوس للناس
وقلوبهم لا يقل نسوة وعنفاً واحتداماً عن صراع القوي الحديدية
العمياء النارية التي تأكل الأخضر واليابس وتحطم القائم والحصيد
وبين هذين الصراعين يقف قوى العرب متفرقة الرأي في الحاضر
مختلفة التقدير للمستقبل حائري الأسباب لا يكادون يعرفون
في أى النواحي موضعهم ، ولا من أى الآفاق مطلع مستقبلهم .
ولا يكادون يعرفون ما في مصاحفهم وديانهم من المثل العليا
التي تستطيع أن تجمع أمم الأرض كلها على حدود العدالة
والسلامة الإجماعية متى وجدت قوماً يؤمنون بها ويحسنون ذلك
الإيمان ، ويمثلونها خير تمثيل ويدعون إليها بأسلوب هذا العصر
الذي يعتمد على براعة الاستلفات والإعلان

وذلك لأن قوى فقدوا « الأب » الواحد الذي يجب أن
« يلدوه » في كل جيل ليحكّم بلسانهم ويتبنى قضيتهم ويقول
حراسة ميراثهم للقلبي والفكرى والمادى حتى لا تمحوه الغفلة
أمام الأقدار التي لن تزال تغير أوضاع الناس ومقدرات الأمم ،
ولا ترحم الضعيف الكسلان المتواني في حراسة حقه وأجداده
بالسيف والقلم ، ولا تقيم وزناً لمن لا يقيم وزناً لقوانين الطبيعة

وسنن الله فيكتفى بالأمانى والأحلام وتزويق الكلام ويترك ما آمن
الله به وأولو العلم وهو الوحدة والعدالة والعلم والعمل

فإلى أن يوجد الأب الواحد المادل العالم العامل ، فيتولى
بوحدة فكره وفنه وضع القضية العربية الوضع المحكم وتنسيق
قواها والتنسيق البديع ، ويتولى بمبدله توزيع الاهتمام والشعور
على كل بقعة في الوطن العربي الأكبر ، ويتولى بعلمه الإحاطة
بالدقيق والجليل من شئون أمته في بطون وديانها وشباب جبالها
في صحرائها وخضرائها ، في حواضرها وباديها ، من الخليج الفارسي
إلى الأطلسي ، ويتولى بمعلمه جمع أيديها حتى تكون يداً واحدة ،
تصفق بها في موائيقها وعمودها صفقة واحدة ، وتلوح بها
لأعدائها قبضة واحدة وتضرب بها قيودها وأغلالها ضربة واحدة
أقول إلى أن يوجد ذلك الأب لا أقل من أن ينشد لها القادرون
على الإنشاد والبيان بمزمار وأبواق تهتف في أرضها الناعمة بتداء
اليقظة والانبعاث في فجر الحياة الجديدة التي لا بد فيها لطالبي المجد
من التذكير للسبق في المضمار

وإن قدر الله — لا قدر ا — فأقلت الحاضر الراهن من
أيدي العرب من غير أن يجمعوا أمرهم ويخففوا في طريق الحياة
مع الزمن الذي يجري بالناس ، ويخضعوا أجسامهم وعقولهم
لضرورات الدم والقوة والآحاد وملاقة الصعاب بجملة متحدة ،
فسوف تموت آمال وتحمط أعمال وتحدث أهوال !
ولست أعلم زمناً أصلح للسمى إلى تحقيق الجبهة العربية
الواحدة ، وأدعى إلى الإيمان بها من هذا الزمن الذي تداس فيه
الأمم الصغرى ، ولا يكون فيه لغير القوميات الكبرى وزن ،
أو اعتبار في أى مقياس .

ولست أعلم كذلك قوماً لهم مثل أوطاننا المتصلة المكونة
من مجموعة نادرة فريدة من الوديان والسهول والجنت والآنهار ،
ولهم مثل أعلى واحد في العقيدة والتقاليد والأخلاق ، ولهم لغة
واحدة يفرغ عليها التاريخ والدين جلالاً وسجراً ، ثم يتوانى
قادتهم وزعمائهم في استغلال هذه الظروف والفرص هذا التواني
الذي وراء التفكك وتبديد الميراث

ويشهد الله أنني لا أعنى قيام القومية العربية للانتفاع فقط
بما فيها من المزة لكل فرد ينتسب إليها ، ولا لما فيها من الخيلاء
والكبرياء اللتين تصاحبان الفرور القوي لدى أكثر الأقوام ...

يضعه في الحياة هذا الموضع الأكرم الأعلى ، وهو معتقد أنه قوة من قوى الله مستخلقة لحراسة الأرض وحراسة النفس والإنسانية من فتن الحياة وقوى الشر ونوازع الإثم ، وأن ينظر إلى الناس كما ينظر إليهم الله نظرة رحمة وغيره على مصالحهم وسمى حيث لها ، لا كما ينظر الملاحدون إلى أنفسهم وإلى الناس نظرة ضياع وحبيرة بين القوى العمياء ، ولا يعتقدون أن القوة المتسلطة على الكون تأبه لهم أو تقيم لهم وزناً ، فهم كذلك لا يقيمون لقوانينها في الطبيعة وزناً ، وإنما يدخلون الحياة ويخرجون منها كما تدخل وتخرج السباع إن كانوا أقوياء ، أو كما تحيا وتموت الخراف البلهاء إن كانوا ضعفاء

وبدهي كذلك أن تكون هذه الصداقة المعقودة بين العربي ورب الطبيعة بمعت اعتزاز وقوة واعتصام بقوة الذي بنى السماء والأرض ، يتحول بها إلى قوة مندجبة في قوى الكون التي في يد الله . وينظر بها إلى ما في السماء والأرض وكأنه ينظر إلى أشياء موضوعة مهبأة له في دار أبيه ...

أما القلب العربي ، وهو الكلمة الصامتة ، ففيه حينما كان ورائات مدخرة من بساطة الحياة في الصحراء واتساعها وعزلة المفكر فيها عن المؤثرات الصناعية ، وإشراق النجوم عليها ، واحتكاك الفكر فيها بالسماء دأماً ، وانطلاق النفس من غير سدود وقيود ، واعتداد الإنسان فيها بنفسه ، واعتماده على قواه الذاتية ، وسبح الخيال وراء المهجولات والنيوب ، وتجرد الحياة فيها من الزينة الصناعية والتكليفات الوضعية التي لا تطلق النفس لدواعي الفطرة بل تجمل عليها ركائماً من قيود التقاليد

يضاف إلى هذه الوراثة الاستعداد الدائم لبذل الدم والمال في سبيل الشرف وحسن الأحدثوة ، وعدم الارتباط بالأرض إلى درجة التضحية بالحريه والخضوع لسلطة مذلة واستبداد مهتدر لكرامات الإنسان وحرمان الحياة ...

وهذه صفات ترشح قوماً لحل دعوة كالدعوة الإسلامية التي تطلب الدم والمال للوصاية على كل حق في الحياة . ولن تستطيع نفس مترفة معقدة الفكر بتعقد الحياة التي نشأت فيها ، معقدة النفس بتعقد التربية السياسية ذات الأوضاع والقوانين الكثيرة ، محبة للحياة حريصة عليها لما فيها من الترف والنعمة ، بعيدة عن الطبيعة لأنها عاشت سجيئة بين الجدران أو مكبة

ولكنني أتمنى قيامها للاعتزاز أولاً بمثلها الأعلى الذي رفته ورفعت الحياة به أيام أن كان لها السلطان والموجلان ... ذلك المثل الذي لا يتحقق التوازن الدولي ، والعدل الطبيعي إلا به ، ولا يضع علاقات مودة ، ومعاني جديدة بين شعوب الأرض إلا هو . لأنه مثل أعلى يقوم على كلمتين من كلمات الله رب الناس جميعاً ، وجاعلهم صنوفاً ، وأنواعاً وأجناساً ، وألواناً كما يصنف للبستاني أزهار البستان ... : على كلمة ناطقة تدور بها الألسنة وتستوحى منها الأنفكار ، وهي القرآن ! وعلى كلمة صامتة مستخفية فيها أسرارها وأوتارها وأشواقها وأظارها وهي القلب العربي ! وفي الكلمة الأولى اعتمد الله على بلاغة هذه الأمة وفصاحتها وصراحتها في الكشف عن كل غيب في الضمير وفي الشور وفي الفكر وتسجيله بلغة موسيقية موجزة مبينة ، وإلقائه على الأسماع والأفهام آيات منزلة من حول العرش ...

وفيها يضع الله كل شيء في الطبيعة في موضعه أمام الفكر البشري « إنا كل شيء خلقناه بقدر » « أعطي كل شيء خلقه ثم هدي » فلا يجوز الاعتراض والثورة على نظام الكون ومحاوله تبديله « لا تبدل خلق الله »

وفيها ينظر الله إلى أم الأرض كأمة واحدة « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

وفيها يحطم الله الأصنام الحجرية والبشرية ويسحق « العجل الذهبي » وعباده ، ويكسر كل قيد يقيد النفس بالمادة ويجعلها تخلد إلى الأرض وتتخذ الأهواء آلهة وتسبح للشهوات السفلى وتعيش في الأرض في غفلة عن الجمال الأعلى ؛ فيخرج الإنسان بعد هذا كله طليقاً حراً قديس الروح نظيف الجسد متجرداً من كل شيء الله الذي أعطاه كل شيء ...

وفيها يقدر الله بينه وبين الإنسان صلة مبنية على منطق الفكر ومنطق الوجدان ، فما يقدره الله في الطبيعة ويحترمه يقدره الإنسان ويحترمه ، وما يبيضه الله وعمته يبيضه العقل الإنساني ويزدره ؛ فالعقل البشري صورة مصغرة من العقل الأعلى الذي يدير الكون ويحرسه ويمسكه أن يزول . ألم يقل : « ونفخت فيه من روحي » « إني جاعل في الأرض خليفة » ؟

وبدهي بعد ذلك أن يصدر العربي من بين يدي القرآن الذي

بالإحسان والقوة الشيء الكثير... ولكنهم مشغولون فقط بالبحث عن الذهب الأصفر والذهب الأسود...
والذين شاهدوا الشريط السينمائي الذي عرض في بعض دور السينما بالقاهرة منذ قريب عن حياة « لفتنجستون » الكاشف الإنجليزي المشهور ، يدركون تماماً ما يرى إليه واضع هذا الفيلم ومخرجه من نقد ، لإهمال التبعات الملقاة على عاتق الرجل الأبيض في تحضير هذه البقايا من الإنسانية الباقية على وثباتها وخرافاتها وانقطاعها عن حياة العلم والدين .

دع عنك المؤثرات الطبيعية والصناعية التي جملة الرجل الأبيض يهمل في واجباته نحو إخوانه من بني البشر هذا الإهمال وتمال مي ننظر إلى نعم الله على القومية العربية حيث وضعها هذا الوضع الوسط المعجيب بين أجناس الناس وبقاع الأرض...
إن وضعها هكذا من الخليج الفارسي إلى المحيط الأطلسي وسطاً بين أمم الشرق والغرب والشمال والجنوب لتلتقي عندها الألوان والأجناس والدماء والأجواء والثقافات والحضارات والطباع والأمزجة ، فتأخذ قلوبها من جميع القلوب ، وعقولها من جميع العقول ، وأجسامها وألوانها من جميع الأجناس والألوان ، ثم يمتزج كل أولئك ويصهر في طبيعتها المستدلة ويخرج للناس بمد هذا ثقافة نفسية وسياسية يلتقي عليها الشرق والغرب لقاء يحطم القيود ويمتاز الحدود . لأن فيها من كل جنس رداءً ، ومن كل عقل مدداً ، ومن كل قطر ورداً ...

فإذا خاطب الله رسالته الأخيرة وكلته الخاتمة هذه الأمة التي في مركز الأرض فأعنا يخاطب البشرية جمعاء متمثلة في هذا الجنس وإذا خاطب العربي المتحضر أمم الشمال والغرب المتحضرة ، أخذوا عنه خطابه وعقلوه لأن فيه مسحة من بياضهم وثقافتهم ، ولأنه أقرب الأجناس إليهم وأكثرها اختلاطاً بهم
وإذا خاطب العربي المتبدى أمم الجنوب والشرق ، أخذوا عنه وعقلوا منه ، لأن فيه بساطتهم ومعارفهم ، ولأنه من أقرب الأجناس إليهم وأكثرها اختلاطاً بهم
وتلك نعمة عظمى حتم على العرب أن يتفطنوا لها ويبنوا جهادهم ورسالتهم عليها ويدركوا امتنان الله عليهم بها في قوله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على للناس »
عبد النعم منصف (القاهرة)

على عبادة الزراعة والصناعة ، مثقلة بالأموال والخبرات للكثيرة فليس لها فراغ للفكر في السكون وربه... إن تستطيع هذه النفس أن تحمل ما تحمل النفس العربية من رسالة البساطة والمساواة والرجوع إلى قوانين الطبيعة والنظر إلى أوليات الحياة ومبادئها والتجرد من التعميد وركام التقاليد

ومن أجل ذلك لم يصطف الله أمة من الأمم المتحضرة كالرومان والفرس لحل رسالة الإسلام مع أنهما كانتا على علم كثير وحضارة عظيمة ، بل اصطفى العرب لتلك الرسالة ، رسالة للفطرة والبساطة ، لأنهم أقرب للناس في حياتهم من مبادئ الحياة العامة التي تجعل الإنسان شيئاً من الطبيعة غير منفصل ولا معزول عنها بجموع صناعي ، ولأنهم يكتفون وهم الغالبون أسرع من الملغوبين إلى ما يحقق العدالة والمساواة ، إذ لا يشعرون بفرق كبير بين حياتهم في الحكم وأهنته ، وبين حياتهم على قدم المساواة مع أقل الناس تكاليف

واعتقادي أن الرجل الأوربي أو « الرجل الأبيض » على العموم لا يمكن أن ينهض رسالة المساواة بين الناس ، لأنه يجد في شكله جمالاً وفي قده اعتدالاً وفي عقله تركيباً ، وفي حياته على العموم زيادات لا يجدها عند سواء... بل إن بعض أنواع الرجل الأبيض — وهم الجرمان — قد بدأوا فلسفة جديدة في الفروق الجنسية لا يمكن مطلقاً أن تقوم معها عدالة أو مساواة حتى بين أنواع الرجل الأبيض نفسه ...

وقد يكون للبيض بعض العذر من ملاحظة الفروق الظاهرة بين بيئاتهم وبيئات الأجناس الملونة ، فلا يجدون أنفسهم تطاوعهم على تناسبها ، والنزول بين غيرهم من بني البشر على قدم المساواة ، لأنهم أولاً معزولون من قديم الزمان عن الاتصال بالأجناس الملونة التي تسكن في وسط الأرض وحوله ، فلا يلمسون جوهر نفوسهم ولأنهم ثانياً يمتدون بشكليات الحياة اعتداداً كبيراً ، ولذلك ملأوا حياتهم بها ؛ فلا يمكن مطلقاً أن ينتفروا الفرق بين الجلدة البيضاء والجلدة الصفراء والسوداء والجراء... وإلهم ليفغرون الفروق بين الإنسان والكلب ، فيحتضنون الكلاب ويقبلونها ، ويكون رحمة لها ويمامونها بالحسنى ، ولكنهم يأنفون من رؤية الرجل الملون ويمينونه ولا يرحمونه ولا يجتهدون في رفع حياته وإتقاده من وثباته وخرافاته . مع أنهم فتحوا دياره بالقوة منذ أكثر من قرن ، وعندهم من وسائل إخضاعه للتعليم والتهديب